الديستوبيا في رواية (الكافرة)
للروائي علي بدر

The Dystopia in the Novel The Infidel
by the Novelist Ali Badr

م.د. حازم محمد نجم
جامعة الشطرة - كلية التربية للبنات - قسم اللغة العربية

Hazim.mohammed@shu.edu.iq

الملخص :

تقوم هذه الدراسة بالتعريف عن الأدب الديستوبي ، من خلال قراءة نقدية في رواية الكافرة للأديب علي بدر ، وتعد هذه الرواية نموذجاً لرواية ما بعد الحداثة للأدب الديستوبي في الوطن العربي ، فهي تعكس واقعاً مضطراً يسوده التطرف الديني والقمع الاجتماعي ، وبالأخص تعنيف المرأة فهي تعاني اضطهاد مزدوج : الأول ديني والثاني اجتماعي ، فوقع اختيار الكاتب على هذا العنوان اللافت لنظر المتلقي لتكون بطلته فتاة تواجه تهديدات مستمرة ، مما جعلها تعيش حالة من الرعب وفقدان الذات ، فهاجرت محاولة البحث عن الحرية والخلاص من القمع والاضطهاد ، لكنها واجهت تحديات أخرى تتعلق بصعوبة الاندماج في مجتمع جديد متعدد الأعراق والقوميات مما جعلها تشعر بالضياع وفقدان الهوية ، كل ذلك جعل الرواية تنتمي للأدب اليستوبي .

الكلمات المفتاحية: الديستوبيا ، علي بدر ، العنف الديني ، المنفى.

Summary

This study introduces dystopian literature through a critical reading of the novel *Al-Kafira* by the writer Ali Badr. The novel serves as a model of postmodern dystopian literature in the Arab world, reflecting a troubled reality dominated by religious extremism and social oppression, particularly the abuse of women. The protagonist suffers from dual oppression: religious and social. The author chose this striking title to capture the reader's attention, portraying a female protagonist who faces constant threats, leading her to live in fear and loss of self. She migrates in search of freedom and escape from oppression but encounters new challenges related to integrating into a multicultural society, making her feel lost and devoid of identity. All these elements classify the novel as dystopian literature.

Keywords: Dystopia, Ali Badr, religious violence, exile.

٤٥

المقدمة

تعد رواية علي بدر نموذجاً مميزاً للأدب الديستوبي العراقي ,حيث تستعرض الرواية واقعاً مرعباً تسيطر عليه القوة الظلامية المتطرفة ,فيعاني فيه المجتمع من قمع الحريات و الاضطهاد , فمثل هذا الأدب انتشر انتشاراً واسعاً في الوطن العربي و خاصة بعد ثورات الربيع العربي والذي صور لنا المجتمعات الديستوبية العربية على أنها خاضعة للأنظمة الاستبدادية و تسيطر على كل جوانب الحياة من الفكر إلى السلوك والتعامل اليومي ، فقد استخدمت هذه الأنظمة التكنلوجية الحديثة والدعاية لقمع الحريات الفردية وإجبار المجتمع على الخضوع ، ويعكس الأدب الديستوبي كذلك انهيار القيم الاجتماعية و الأخلاقية فيحاول الأديب علي بدر رسم هذا الصورة بشكل واضح في روايته (الكافرة) , حيث أبرز فيها مواضيع العنف الذي تعاني منه النساء في مجتمع فرض قوانين صارمة على المرأة و معاقبتها بشكل وحشي .

وقد اعتمدت الدراسة على عدد من الدراسات السابقة منها :

-الديستوبيا: ملامح التشكيل وآليات السرد بين الدوس هكسلي وإبراهيم نصر الله «دراسة مقارنة» للدكتورة غادة خوسون زكي سنة ٢٠٢١.

-كتاب (الرواية الديستوبية -أدب المدينة الفاسدة والواقع المرير)يحيى عبابنة سنة ٢٠٢٣.

-أطروحة دكتوراه (الأدب الساخر في الأردن : دراسة موضوعية وفنية) عطا الله حجايا ، جامعة العلوم الإسلامية العالمية سنة ٢٠١٦.

وتقودنا الرؤية المنهجية إلى بعض الأسئلة في البحث .

ما الأدب الديستوبي؟ ، وكيف تمثلت الديستوبيا في رواية الكافرة؟

أما الهدف من الدراسة هو : استقراء موضوعاتي لرواية الكافرة والكشف عن الديستوبيا فيا وفق المنهج النقدي ، فقسمت الدراسة لمبحثين : المبحث الأول عنوانه (التعريف بالمصطلح وحياة الشاعر) وضم هذا المبحث محورين هما: مفهوم الديستوبيا في الأدب والمحور الثاني نبذة عن حياة الكاتب علي بدر ، أما المبحث الثاني عنونته (تمثلات الديستوبيا في رواية الكافرة) وكان من محورين الأول هو العنف الديني والقبلي والمحور الثاني العنف الجسدي والمنفى بين (الفقر والاستغلال والبحث عن الذت) .

المبحث الأول: الديستوبيا بين الواقع والمتخيل في سرد علي بدر

أولاً : مفهوم الديستوبيا / هو نوع أدبي مضاد لليوتوبيا وهي كلمة من أصل يوناني و معناها المكان الخبيث ، وقد استعمل النقاد مصطلح الدستوبيا في الأدب وقصدوا به العمل الروائي الذي يصور لنا الحياة في مجتمع خرب أفسدته المظاهر المادية وعصفت به النزاعات الحزبية السياسية و الاجتماعيات السلبية , و الأدب الديستوبي غالباً «أدب الواقع المرير يصور مجتمعاً خيالياً مخيفاً غير مرغوب فيه , تسوده الفوضى ، ومن أبرز ملامحه القتل و الخراب و التدمير و الفقر و المرض ، و تتنوع عناصر الدستوبيا في القضايا السياسية و الاجتماعية والاقتصادية و حتى البيئية ، فانخرطت مادة هذا الخطاب بالواقع ، تحولات في نمط الوجود , و منظومة القيم , واستفحال الفساد وارتبطت بالأحداث المظلمة التي تنبئ عن الخراب و السيباب»[1] لذلك نشأت فكرة الأدب الدستوبي باعتباره وسيلة لنقد الأوضاع السياسية و الاجتماعية السائدة في المجتمع ما من خلال تقديم صورة متخيله للمستقبل القائم و الذي يعكس المخاوف من تدهور القيم أو سيطرة أنظمة قمعية ,»وقد عرف هذا المصطلح عند الكاتب جورج أوريل في رواية١٩٨٤ التي تصف العالم المليء بالحروب و الرقابة الحكومية و التلاعب حياة الناس و مصائرهم , كما كتبت روايات عديدة في هذا الموضوع منها THE HUNGER GAME ألعاب الجوع لسوزان كولنيز ، وروايته THE HOST لستيفاني ماير ، رواية فهرنهايت ٤٥١ لراي براد يري ، والات الزمن بجورج ويلز ، وعالم جديد شجاع لأولف هكسلي ، وغيرها من الروايات الديستوباويه المتنبئة بمستقبل قائم تسوده الفوضى العبثية»[2] و التجمع و الاضطهاد، أما في ألأدب العربي فقد ظهرت عديد من الروايات ضمن أدب الديستوبيا, نذكر منها على سبيل المثال : رواية عطارد لمحمد ربيع , الصادرة سنة ٢٠١٤ , المصورة لمستقبل العالم العربي لسنة ٢٠٢٥ , و رواية المصري عمر صادق المعنونة بروائي المدينة الأول, وأحمد توفيق في روايته ممر الفئران, الفلسطيني

إبراهيم نصر الله في حرب الكلب الثانية , و الروائي الأردني أحمد الزعتري في روايته الانحناء على جثة عمان و التي منعت من الصدور , و الجزائري واسيني الأعرج في رواية ١٩٨٤ حكاية العربي الاخير»[٣] . ففي أغلب ما ذكرت من الروايات اتخذت من الفضاء الديستوبي في الزمن الواقعي الحقيقي والمكان الحقيقي المرير انطلاقاً إلى مستقبل أكثر دراية , فالرواية العربية المعاصرة اتخذت نفس مسار الرواية الغربية « فحاولت ابتكار عالم افتراضي مقتبس من الواقع , لتقدم صورة موازية له , أو ربما مضت إلى عوالم ممكنة ولتحقيق من هنا كمنت في صميم ذلك الأدب صيغة تحذيرية إزاء إمكانية انهيار المجتمع أو انغماسه في مهوى المفاسد والتحلل فإذا كان كتّاب اليوتوبيا قد حلموا بعالم مثالي , فأن كتّاب الديستوبيا العربية رأوا أن هناك إمكانية لتحول اليوتوبيا الحالمة الى حياة فاسدة يحكمها الطغاة وتملؤها الشرور ، ليس ذلك فحسب بل هناك من رأى أن المجتمعات الحالية أقرب إلى الانهيار»[٤]. فإلحاح مظاهر أحكام قوة وسلطة من التشرذم والقهر الذي يَصب على الفرد داخل وطنه , واحساسه بأكذوبة الشعارات التي يستعملها دعاة الدين أو الحرية إلى الدافع بأن تكون المعاناة والقهر هي نقطة استشراق مستقبلية تنبئ بحياة أكثر بؤساً واضطهاداً ، وهذا المعنى أكده سارتر بقوله «فإذا تناولت هذا العالم ، بما يحتوي عليه من مظالم فليس ذلك ، لكي أتأمل في هذه المظالم في برودة طبع , بل لكي أردها حية بسخطي وأكشف منها ، وأبعثها مظالم على طبيعتها , أي على مساوئ يجب أن تمحى وبدأ لا يكشف القارئ عن العالم في عمقه الذي صوره فيه الكاتب ، إلا بفضل بحث القارئ فيه وسخطه وإعجابه به»[٥] ، فسارتر أكد على تكرار المأساة وإنتاج مستقبل أكثر كابوسية من الحاضر ، أو بمعنى أخر ، مجتمع مستقبلي مظلم يتمحور حول عالم تهيمن عليه الأنظمة القمعية ، وأغلب الأحيان يكون مغايراً تماماً لمجتمعنا الحالي ، فالأدب الديستوبي وسيلة فعالة لنقد الواقع عبر الخيال ولذلك يكون واحداً من أكثر الأنواع الأدبية تأثيراً في الأدب الحديث ،و «الديستوبيا ميزت نفسها بالتعبير عن موضوعات مجردة من الإنسانية ، وأمعنت في تصوير ظواهر الانحطاط في المجتمعات البشرية كما تناولت النظم الاقتصادية والسياسية والبيئية في سلسة من الأعمال الأدبية التي تنضم إلى أدب الخيال العلمي بطريقة تنبؤ حدوث الكوارث التي يمكن أن تنجم عن التلوث البيئي أو الانحدار الأخلاقي» [٦]، فالديستوبيا أداة بصرية تسليط الضوء على الأحداث الكارثية المحتملة في المستقبل من خلال تضخيمها وتصويرها بصورة خيالية ، على الرغم

من أن سوداوية هذا النوع الأدبي إلا أنه يكون مؤقتًا ضمنيًا ودعوة إلى التفكير في العواقب التي قد تنجم عن انخفاض القيم الأخلاقية أو البيئي والاقتصادي ، كما أن الأدب الديستوبي لا قصيدة فيه ولارواية إلا عن العنف والقمع والمستقبل المجهول، بل تثير التعاطف حول الحاجة إلى امكانية المجتمع في مواجهة القمعية أو الظروف السيئة ، ونجحت الرواية العربية والروائيون العرب في إيصال هذا المعنى «فقد نجحت أعمالهم في نيل الاهتمام النقدي والجماهيري ، فضلا عن وصولها إلى القوائم الطويلة لجوائز عربية شهيرة ، وتأتي رواية عطارد للكاتب المصري محمد ربيع على رأس القائمة ؛ إذ نجحت الرواية الصادرة عام ٢٠١٤ في أن تصل إلى القائمة القصيرة لجائزة البوكر عام ٢٠١٦ ، وهي رواية تصور مستقبلاً قاتماً ، يشهده الوطن العربي عام ٢٠٢٥ ، أما في رواية (روائي المدينة الأول) فقد قدم الكاتب المصري عمر حاذق تصوراً ديستوبياً لما بعد الموت ، وفي الأردن قدم الروائي أحمد الزعتري روايته (الانحناء على جثة عمان) ، والتي تم منعها من الرقابة الأردنية بدعوة إساءتها للمجتمع ، وفيه يطرح الكاتب مستقبلاً كابوسياً لمستقبل مدينة عمان»[٧] ، فالروائيون العرب اعتمدوا على معطيات الواقع السياسي والاقتصادي لصياغة عوالم ديستوبية تُحاكي الأنظمة القمعية وانهيار القيم الإنسانية، جاءت هذه الروايات كرد فعل على القمع السياسي و الحروب و والصراعات الاجتماعية التي عانى منها العالم العربي خلال العقود الماضية.

ثانياً : نبذه عن حياة علي بدر

يعد علي بدر من أبرز الروائيين العراقيين المعاصرين ولد في العاصمة بغداد عام ١٩٦٤ في بيئة ثقافية غنية ، وكان أول اهتمامه بقراءة الفلسفة ثم تأثر بالأدب الغربي والعربي فولع بهما ، فوقع اختياره في الجامعة على دراسة الأدب والفلسفة الفرنسي في جامعة بغداد وبعد تخرجه شارك والتحق بالخدمة الإلزامية وشارك في الحرب خلال الثمانينات والتسعينات ، ثم سافر بعد ذلك إلى خارج العراق وعزم على اكمال دراسته فحصل على شهادة الماجستير في الأدب من جامعة بروكسل عاصمة(بلجيكا) وكانت عنوان الرسالة (النظرية الأدبية بين أريرياخ وأدوارد سعيد) في سنة ٢٠١١ ، وسبب اختياره هذا الموضوع لأنه كان شغوفاً بالمدارس الفكرية الأوربية انخرط في العمل الصحفي قبل أن يتجه لكتابة الرواية ، وهذا ما اثرى ثقافته واسهم في تشكيل رؤيته النقدية .

تميز علي بدر بأسلوب سردي عميق فكان يخرج بين الواقع والخيال ، فكان يمزج بين الفكر الفلسفي والأحداث التراثية ليبث التشويق عن طريق خلق عوالم أدبية مشوقة ، فتناول عدة قضايا مهمة منها الهوية وتحولات المثقف العربي

والتأثيرات الغربية على الفرد العربي ، كذلك أصبحت رواياته مرآة عاكسة للحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية في العراق[٨]

فكتب أول رواية له بعنوان (بابا سارتر) عام ٢٠٠١ والتي نالت شهرة واسعة ، فكانت من ابرز أعماله الأدبية التي تناول فيها قصة مثقف عراقي متأثر بفلسفة سارتر الوجودية فكانت الرواية عبارة عن نقد ساخر للمثقفين العراقيين الذين حاولوا تقليد النماذج الغربية دون فهم حقيقي لهم .

وبعد هذه الرواية توالت رواياته التي رسم فيها صوراً بونورامية عن العراق والوطن العربي وأبرزها

١- شوارع النجوم ٢٠٠٣

٢- أمير نائم وحملة تنتظر ٢٠٠٥

٣- ماسينيون في بغداد من الإهداء الصوتي إلى الهداية الكولنيالية ٢٠٠٦

٤- مصابيح اورشليم ٢٠٠٨

٥- الطريق إلى تل المطران ٢٠١٠

٦- الكافرة ٢٠١٥

٧- عازف الغيوم ٢٠١٩

٨- القاتل الخيالي ٢٠١٣

«فكان علي بدر يختلف عن كثير من الكتاب العراقيين ، والعرب في قدرته على أن يجعل الثقافة فعل مشافه يومي ، فهو حكاء يختزن بجعبته كماً كبيراً من القصص ، والروايات عن العالم العربي الذي يعيشه ويقرأ عنه «[٩].

وهذا بفضل ثقافة الواسعة المتنوعة فكان « الروائي الذي حقق المستويين الشكلي والدلالي في سرده فكان صانعاً لروايته بتقنية حدأ تمزج بين الخيال الفني والواقع إضافة إلى ذلك فإنه كان ماهراً في افتراض شخوصه والوقائع الحياتية «[١٠] ، فكان له القدرة على ابتكار الوثائق التاريخية وتركب الأحداث من خلال عملية التصرف بالأحداث والأشخاص والأفكار فينتج لنا قطعة سردية عالي الحياة الاجتماعية ، أصبح علي بدر نموذج الكاتب العربي الذي استطاع بروايته تجاوز الحدود العربية إلى العالمية ، فقد ترجمت أعماله إلى لغات متعددة مما ساهم في شهرته عالمياً ، وحظي بإشادة كبيرة من النقاد العرب والأجانب ، ثم أصبحت أعماله مصادر تدرّس في الجامعات الأجنبية عن الأدب العربي الحديث .

المبحث الثاني : تمثلات الديستوبيا في رواية (الكافرة)

أولاً \القهر والاضطهاد الديني / يعد هذا المحور في الرواية من أهم المحاور التي ركز عليها علي بدر ، فقد سلط الكاتب الضوء على العلاقة المعقدة بين الدين والسلطة والمجتمع وقد تجلت هذه الفكرة بالعنف ضد المرأة التي سميت الرواية باسمها ، ففي هذه الرواية يتحول الدين من كونه فائدة وقيمة روحانية إلى

أداة تسيطر على العقول وتكمم الأفواه و " الرواية على وفق خاصيتها السردية الحكائية التي أهلتها لاتخاذ مكانة قريبة من نفس المتلقي فإنّ تلك المكانة أخذت بالتبلور والاتساع ليس فقط بمميزاتها التي تناغم النفوس ، إنّما لأنّها جنس أدبي جرئ أيضاً لا تمنعه الحدود من اقتحام التاريخ والبحث وراء حقائقه ومسلَّماته ، فتنادي بصوت من سكن فيه وتقول ما لم يقله فنجدها بحث في البعيد والمنسي تبحث بين طيّات الزمان بما يقيدها في بناء رؤاها الاستشرافية ، التي تحاول عبرها إضاءة الحاضر واستبصار المستقبل ، وبحثها عن الماضي بشي بأنها رواية الحاضر والمستقبل ، فيكون نزوعها نحو الماضي أو التاريخ ليس حنيناً ولا شغفاً بقدر اهتمام بالحاضر الذي يمثل امتداد ذلك الماضي ومن ثم ماضيا المستقبل آتٍ " [11] ، ولذلك ركز الكاتب على العنف الوحشي الذي تعرضت له المرأة في العراق عند دخول القوة الظلامية التي جاءت للعراق رافعة شعارات الدين الإسلامي ومن الملامح الديستوبية التي ذكرها في الرواية على لسان بطلتها فاطمة التي غيرت اسمها في بلاد المهجر إلى صوفيا وهي تقص حياتها على حبيبها أدريان: دخل مجموعة من المسلمين إلى مدينتنا الصغيرة والتحق أبي معهم ولا زال صوت أكبرهم سناً عندما قال "اجلبوا هذه الزانية الكافرة من السجن هكذا كان الصوت خشنا»[12] والمتعارف في الدين الإسلامي أن الزانية لها عقاب وفيه تفاصيل منه الجلد، ومنه الرجم حتى الموت إذا كانت محصنة ، أمّا الكافرة هي التي تدين بدين غير الإسلام ولها عقاب دنيوي كذلك ، فركزت صوفيا على الكلمتين الزانية والكافرة وتقول "كنت أعرف كلمة زانية جزئياً . معنى ضبابي ، ليس حقيقياً ليس بالضبط ، ولكن ؛ شيء قريب من المعنى ، أمّا كلمة كافرة فكنت أجهلها كلياً ، مع وقع الكلمة . موسيقى في أذني "١ ، وتعني بالموسيقى التي في كلمة الكافرة هر التمرد والشجاعة لكل من يخالف مثل هؤلاء المسلحين ، لكنهم أطلقوا (كافرة وزانية) لكل من يعارض أراءهم وأفكارهم ،ثم تواصل صوفي كلامها الديستوبي " جاءت سيارة تحمل صخراً صغيراً وقلبوها قرب الموضوع ، رمقت الفتاة بعينيها الحجارة الساقطة هناك ارتاعت وارتعبت ، وبان الرعب في وجهها وعينيها .... هرع الرجال والنساء والأطفال ، ليحمل كل واحد منهم نصيبه من الحجارة .... عيني صارت بعينها مع أول ضربة حجر ، ضربت وجهها ، مع أول صرخة ثاقبة ومرتعشة عالية ، صدرت عنها ، مصحوبة بحركة لسان سريعة مرتجفة كنت سمعت حفيف ثيابها الصوت الصادرعن الدم الذي سال منها " ٢ ، وهذا المنظر الديستوبي المرعب الذي صوره الأديب كان واقعاً حقيقياً عاشه

المجتمع العراقي وبلدان إسلامية أخرى .
فالنص صور مجتمعاً وحشياً قمعياً يفرض سلطته على المجتمع وبالأخص النساء باسم الدين والتقاليد الموروثة ، لذلك حمل سمات ديستوبية مرعبة والرعب والديستوبيا ينطلقان " من نقطة واقعية على مستوى المكان والزمان والحدث . أمّا مايجعلنا نضع فارقاً هنا بين الديستوبيا والرعب وأن الأولى من معطا واقعي وليس بالضرورة أن ينطلق منه أدب الرعب ... أما الفارق الأكثر إلحاحاً هو أن غاية أدب الرعب هو الرعب في حد ذاته والانفصال عن الواقع ، وأن كان منطلقاً منه ،إما الدستوبيا فتبنى مآسيها على الواقع لشريحة بغيه ألا ينفصل عن تبعاته المتخيلة "[١٣] ، ومن النصوص الديستوبية في الرواية " بعد يوم أو يومين طلب غابرييل والد أدريان من المليشيات التي احتلت المدينة أن يدخل ويدفن عائلته سمحو له على أن يغادر قبل حلول المساء دخل المنزل وجد أمه مقتولة في الفناء ، ووالده ممزقاً بالرصاص شقيقتاه قتلن داخل الحجرة الخلفية ، بعد ان طعن عدة طعنات»[١٤] ، في النص مشهد ديستوبي مرعب واجهة غابريل والد أدريان والذي يعكس انحطاط أخلاق المليشيات التي قتلت العائلة البريئة بتهمة الكفر وكأنهم ليس بشراً أو نظراء لنا بالإنسانية ، فتحولت الأسرة (أسرة غابرييل) إلى مجزرة الأم مقتولة والأب ممزق والأخوة مطعونون بالسكاكين كل ذلك يستخدمه الأدب الديستوبي ليعبر عن الإنسان الوحشي المتجرد من إنسانيته.

أما الذعر الذي أصاب غابرييل لا يذكره الأدب بشكل مباشر في أول دخوله البيت ، حتى يشرك المتلقي في حالة الصدمة وهو أسلوب ديستوبي ، يهدف إلى اشراك المتلقي في الشعور بالخوف والمفاجأة . فالرواية أتت بأمكنة وأزمنة وعوالم وشخصيات تفوق مستوى المألوف حيث كانت الفانتازيا فيها تجاوز لكل عوالم الرعب والخوف التي استطاع الأديب أن يعالجها سردياً[١٥] ، باستخدام خياله الأدبي الديستوبي الفاقد لكل الأنظمة والقوانين التي اكتسبت شرعيتها من المثالية والفضيلة لذلك سمي هذا النوع من الأدب (أدب الواقع المرير ،كما عرفته فاطمة برجكاني " الأدب الديستوبي أو أدب المدينة الفاسدة أو أدب الواقع المرير ، وهو مجتمع خيالي مخيف أو غير مرغوب فيه ، تسوده الفوضى ومن أبرز ملامحه الخراب والقتل والقمع والفقر والمرض "[١٦] ، وفي منظر ديستوبي أخر على لسان صوفيا وهي تصف مشهد الزانية المرجومة .

"أرسلت لي زفيراً مضخماً بالدم وهي ترفس بأقدامها على الأرض لم تكن قادرة ، أن تتقي الضربات ، عن وجهها ، أو رأسها ، فيداها موثوقتان كان الضحك يتعالى وهم يمعنون بضربها ،على الرأس ، وعلى

الوجه ، ظل جسدها يتحرك طويلاً ، يتلوى ، وأنا أقف عند رأسها ، لابد أنها فكرت بي وهي صامتة ، قبل أن تفيض روحها "[١٧]، في النص استطاع الكاتب رصد عناصر السرد الديستوبي من مكان وزمان وشخوص وأحداث وجعل بينهم علاقة تكاملية ، فالحدث مثلاً لا يكون إلا لمكان يحدده ، وبالتالي فأن اختلاف الأحداث يتبعه اختلاف الأمكنة ، فمكان الجريمة هو بلد الراوي (العراق) والزمن (أيام دخول داعش) ، أراد الراوي أن يوثق فترة مظلمة مر بها العراق ولاسيما نقد لاذع للتشدد الديني والمذهبي واضطهاد المرأة واحتقارها فسلط الضوء على المرأة المهمشة ، حيث " تتجلى في الرواية أزمة الأنثى او المرأة العربية وحدود الحرية التي تخرجها من بوتقة العادات والتقاليد البالية ، والنظر إليها كجسد فقط ووعاء للإنجاب "[١٨] ومن خلال الرواية تناول الكاتب المرأة كضحية للمجتمع الديني والاجتماعي ، حيث كانت بطلة الرواية صوفي تسرد لنا قصة الفتاة الجميلة المرجومة فتبرز الذعر الذي واجهته من السلطة الدينية والاجتماعية في بلدها .

ثانيا \العنف الجسدي والمنفى بين (القهر والاستغلال والبحث عن الذات)

يشكل العنف الجسدي معاناة المرأة في مجتمعاتنا العربية وحتى في المنافي البعيدة التي يذهب الفرد ليجد الحرية ، لكن في الكثير من الأحيان يتحول المنفى إلى فضاء جديد للاستغلال الجسدي والنفسي ، ففي رواية الكافرة نجد البطلة في مواجهة جديدة مع تحديات معقدة في المنفى بعد هروبها من بلد لا تشم فيه سوى رائحة الدم ، لكنها حلم الحرية سرعان ما يتحول إلى مساحة جديدة للاستغلال والاضطهاد بأشكال مختلفة .

يروي لنا الكاتب على لسان صوفيا عندما وصلت إلى بلجيكا وأرادت أن تعمل لتستمر في العيش في هذه الحياة فتقول "خطرت لي فكرة أنّ أبسّط أنا أيضاً في الشارع ، لبيع هذه الأغراض المستعملة في سوق الجمعة ، وهو سوق يحدث مرة واحدة في الأسبوع ، من الصباح إلى الساعة الثانية ظهراً ..... لم يخطر في بالي المشاكل التي سأواجهها في عملي الجديد ، تصورت أني سأعيش في هذا العالم كما أنا»[١٩]، كان كل ظن البطلة أن المجتمع الذي هاجرت له هو مجتمع مثالي ، والحياة فيه دون عناء ، لكنها اصطدمت بنوع أخر من العنف والاستغلال يختلف بنوعه عن العنف الذي في بلدها (العراق) " في البداية ، كانت هناك مشكلة على المكان فقد جئت صباحاً ووضعت أغراضي في المكان الذي كنت عليه الاسبوع الماضي ، إلا أن شخصاً جاء وازاح أغراضي أمام عيني قال إن هذا المكان مكانه "[٢٠]، فكانت هذه المشكلة الأولى التي واجهتها في العمل لكنها كانت مشكلة ممكن تجاوزها "المرة الأخرى جاء مجموعة من

الألبانيين الباعة القريبين مني ، وطلبوا صرافة عشرين يورو ، فأعطيتهم ،إلا أنهم أخذوا مني المبلغ ولم يعطوني قطعة العشرين ، وحين طالبتهم سخروا مني "[٢١] وهذه المشكلة كانت من المشاكل التي يشعر فيها الانسان بأنه فقد قيمته فتقول "جننت من هذا التعدي "[٢٢] ، وبعد تحمل كل ذلك الاحتقار والاستخفاف تقول "إلا أن أحد الألبانيين جاء ورائي ... وقف خلفي مباشرة وما إن ذهب الزبائن ، أنحنيت كي المّ الملعقات والسكاكين ، فمد يده إلى مؤخرتي ، كنت استشطت غضباً ، حقاً ، التفت إليه , وصفعته على وجهه ، فأمسكني من يدي واراد أن يلويها ، حاولت أن أمسكه من خناقه إلا أنه رماني أرضاً ، هويتُ ، ولكني حملت طنجرة ثقيلة نهضت ، وضربته بها ، على رأسه فسقط على الاثاث هو ونظارته السوداء "[٢٣] ، وبذلك عرفت صوفيا أن لا مفر لها من العنف والكاتب سلط الضوء على جزئية ديستوبية وواقع يعكس التحرش الجنسي ويصفه بأنه أداة قمع وعنف اجتماعي ظل يلاحق صوفي إلى بلاد المهجر ، فيكشف عن عالم كابوسي عابراً للحدود استطاع الكاتب أن يرسم "لوحة الفضاء الزماني والمكاني بأدوات مختلفة ، مستخدماً حيل الإدهاش والتخييل بكثافة هذه الحيل تمثل صعوبة بالغة في استجلاء دوافعها داخل النص الفانتازي ، وروايات الديستوبيا بها تمظهرات تخييلية عجائبية حديثة، استدعت معها آليات لكتابة الفردية منفتحة على أفق التجديد والتطوير"[٢٤] ، فالمكان الجديد الذي هاجرت إليه صوفيا (فاطمة) أصبح مكان غير أليف، وشعرت أنه لم يعد مكاناً ملائماً للعيش بسبب العنف النفسي والجسدي الذي واجهته ثم تنقلت لأماكن عديدة حتى استقرت بعد أن تعرفت على أدريان ، وبعد تذكر زوجها الذي انتحر ليعانق سبعين حورية، قررت أن تعاشر سبعين رجلاً حتى تجرب النشوة التي رحل من أجلها زوجها ، من هنا بدأ البحث عن الذات بطريقة مهينة، فأصبحت تقدم نفسها للرجال محاولة إذلالهم[٢٥] ، حتى عرفت كل نوايا الرجال وهي تقول "تقدم شاب طويل ونحيل وشعره طويل : يغرس الماسة صغيره في أذنه اليسرى طلب أن يرقص معها ، فرقصت معه، اثناء الرقص أراد التحرش بها فتوقفت، عادت إلى مكانها ، كانت غاضبة بعض الشيء، أرادت أن تصنع شيئاً، لم تكن تريده أن يمر هذا المساء بهدوء "[٢٦] ، وهنا صور علي بدر أن التحرش الجنسي هو نوع من أنواع القمع الجسدي الذي يعاد انتاجه في كل العالم فتصبح المرأة سجينة في سجن كبير وفي والأماكن التي يفترض أنها أكثر انفتاحاً وعدالة.

ويستمر الكاتب في رسم المشهد على لسان صوفيا "اقترب منها شاب آخر

بشعر طويل ، ووشوم على يده إلا أنها لم تكلمه ، بقي بالقرب منها يحاول أن يكلمها ، إلا أنها رفضت الاستماع إليه ،عند ذلك الوقت ، صاحت بكل زبائن البار أن يستمعوا لها ، توقفت الموسيقى، وأخذ الجميع يصغي لها، وقفت صوفي ، في منتصف البار رافعة كأسها وصرخت : بصحتك - - بصحتك الجميع رفع كأسها»[٢٧] وظنت أنها وجدت ذاتها بصرختها التي أوهمت الجميع ، حيث كل واحد منهم كان يتصور أن الكاس رفع له ، فكان سلوكها سلوك واعياً رغم أنها كانت مخمورة ، لكنها تلاعبت في مشاعر الرجال الموجودين.

كل ما تقدم كان بوحاً لحبيبها أدريان الذي ظل يشك فيها فكان الأمر يشعر صوفيا بالإذلال فتقول له " شعرت أنك تبالغ في الأمر ، أصبحت اسئلتك عن هذا الموضوع بالذات مهينة ، إصرارك على معرفة كل شيء هو نوع من الشك والغيرة والذي يشعرني بعدم الثقة والإذلال "[٢٨]، الاصرار على معرفة كل شيء في حياة صوفيا يعكس واقعًا ديستوبيًا حيث تنعدم الخصوصية لديها، وتصبح محاصرة بأسئلة مستمرة تفرض عليه شعورًا بالضعف والإذلال، كما لو كان يعيش تحت مراقبة شمولية ، والشك والغيرة هنا يمكن اعتبارهما أدوات للسيطرة، حيث يتم التضييق على الفرد تحت ستار الاهتمام أو الحب، مما يخلق بيئة خانقة تذكرنا بالأنظمة القمعية التي تفرض قيودًا نفسية.

فعدم الثقة في الطرف الآخر يولد واقعًا مختلًا تسوده مشاعر الريبة، مما يؤدي إلى علاقة غير متوازنة تشبه العلاقات في المجتمعات الديستوبية، حيث تنعدم الروابط الإنسانية الحقيقية وتحل محلها الشكوك والاتهامات المستمرة.

فاختيار الراوي لمثل شخصية صوفيا الازدواجية ، والعنف الجسدي الذي تعرضت له من أجل إثبات ذاتها و أن كان ابتذال جسدها اختبارياً ، فكان للكاتب قصديه "يهدف بها لإبراز فكرته وما فيها من إبداع من خلال تطور الشخصية في العمل الروائي"[٢٩] لأن الشخصية الروائية تتطور وتتقدم مع تغير الأماكن ومرور الزمن ديناميكية أو ثابتة، مشتقة أو غير مشتقة ، مسطحة أو مستديرة ويمكن كذلك تحديدها على أساس أعمالها ، وأقوالها ومشاعرها وطبقا لاتساقها مع الأدوار المعيارية ، أو طبقاً لاتفاقها مع مجالات محددة من الأفعال ، أو تجسيدها لبعض العوامل"[٣٠]

فدور الشخصية في الرواية الديستوبية تكون عنصر مهم وأساسي في نقل الأفكار والمفاهيم التي تريد ايصالها إلى المتلقي، فيختلف المفهوم العام للشخصية بحسب اختلاف المجال " ففي المنظور الاجتماعي تتحول الشخصية إلى نمط اجتماعي يعبر عن واقع طبقي ، ويعكس وعيا ايدلوجيا، بخالف ذلك يعامل التحليل البنيوي

الشخصية باعتبارها جوهرا سيكولوجيا ، والنمط اجتماعيا ،وإنما باعتبارها عالمة يتشكل مدلولها من وحدة الأفعال التي تنجزها في سياق السرد وليس خارجه."[٣١] ، فتعمل الشخصية غالباً كمحرك أساسي للعمل الفني، فهي القطب الاكثر تمحوراً حول الخطاب السردي ، حيث أ هم أداة يستخدمها الروائي لتصوير الحوادث هي اختياره للشخصيات، وأخيراً قدم الكاتب علي بدر في هذه الرواية (الكافرة) صورة واضحة ومشهد مرعب للتفكر الديني المتطرف، وتأثيره على المجتمع وكذلك قساوة المنفى وفقدان الهوية من خلال شخصية الفتاة المعنفة .

الخاتمة:

توصل البحث إلى عدة نتائج أهمها :

١-الديستوبيا أداة بصرية تسليط الضوء على الأحداث الكارثية المحتملة في المستقبل من خلال تضخيمها وتصويرها بصورة خيالية.

٢-الروائيون العرب اعتمدوا على معطيات الواقع السياسي والاقتصادي لصياغة عوالم ديستوبية تُحاكي الأنظمة القمعية وانهيار القيم الإنسانية.

٣-تميز علي بدر بأسلوب سردي عميق فكان يخرج بين الواقع والخيال ، فكان يمزج بين الفكر الفلسفي والأحداث التراثية ليبث التشويق عن طريق خلق عوالم أدبية مشوقة.

٤- سلط الكاتب الضوء على العلاقة المعقدة بين الدين والسلطة والمجتمع وقد تجلت هذه الفكرة بالعنف ضد المرأة التي سميت الرواية باسمها.

٥-أغلب نصوص الرواية صورت مجتمعاً وحشياً يفرض سلطته على المجتمع وبالأخص النساء وباسم الدين والتقاليد الموروثة ، لذلك حمل سمات ديستوبية مرعبة.

٦-التحرش الجنسي والعنف الجسدي يصفه الكاتب بأنه أداة قمع وعنف اجتماعي ظل يلاحق صوفي إلى بلاد المهجر ، فيكشف عن عالم كابوسي عابراً للحدود.

٧-غالباً ماكانت الشخصية كمحرك أساسي للعمل الفني، فهي القطب الاكثر تمحوراً حول الخطاب السردي ، حيث أهم أداة يستخدمها الروائي لتصوير الحوادث هي اختياره للشخصيات.

٨-قدم الروائي علي بدر في هذه الرواية (الكافرة) صورة واضحة ومشهد مرعب للتفكر الديني المتطرف، وتأثيره على المجتمع.

المصادر والمراجع

* آليات الكتابة السردية / إمبرتو إيكو، ترجمة وتقديم: سعيد ينكراد، دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع.

* أدب الواقع المرير (الديستوبيا) في قصص (خلف الجدران المغلقة) مطالب عمران، مجلة الأدب العلمي، جامعة دمشق، ع٧٢، ٢٠١٩.

*أدب الواقع المرير الديستوبيا، في الروايتين الغربية والعربية، د أحمد علي محمد، مجلة الآداب العالمية ١٩٨٤، ع ١٨٢.

* بطاقة دخول المشاهير، فاطمة المحسن، مجلة الرياض، ع ١٥١٨٦٠، ٢٠١٠.

* الديستوبيا : ملامح التنكيل وآليات السرد بين الدوس هكسلي وإبراهيم نصرالله (دراسة مقارنة)، د. غادة خوسون زكي، جامعة الأزهر، حولية اللغة العربية، ع٢٥، ج١٠.

* ديستوبيا الوباء الفكري، في رواية اختلاط المواسم أو وليمة، بشرى قصي، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، ع٢، ٢٠٢٤.

* ديستوبيا الوباء الفكري في رواية اختلاط المواسم أو وليمة القتل الكبرى ، ليشير مغني، راوية شاوي، مجلة المحكمة للدراسات الفلسفية، ٢٠٢٤.

*الدليل إلى تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، محمد بو عزة، دار العربية للعلوم ناشرون، الرباط، ٢٠١٠.

* الوثيقة والتخيل التاريخي في روايات علي بدر، رنا فرحان محمد الربيعي، رسالة ماجستير، ٢٠٠٤.

* الحكم على أدبية الديستوبيا، خالد قاسم، ثقافية شهرية، وزارة الثقافة والرياضة، الدوحة، ع ١٤٨، ٢٠٢٠.

*اليوتوبيا والديسوبيا في رواية ما بعد الثورة، دراسة في تشكلات المصطلح، زينب محمد، باحثة دكتوراه، إشراف خيري عبدالحميد، جامعة القاهرة، مجلة مكية الآداب، م ٨٣، ع٢، ٢٠٢٣.

*اليوتوبيا والديستوبيا في الخيال العلمي، د. عائشة علي يوسف، مجلة الأدب العلمي، ع ١٣٠، حزيران، ٢٠٢٤.

* ما الأدب، جان بول سارتر، ترجمة وتقديم وتعليق، محمد غنيمي هلال، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٥.

* تقنيات الزمن الروائي في رواية (حارس التبغ) لعلي بدر، مزار قاسم وياسمين هاشم، ٢٠١٧، ص٢.

* تشكل الشخصية في الرواية الديستوبية، خيري عبد الستار، جامعة عين شمس، ٢٠٢٠.

* رواية الكافرة، علي بدر، ميلانو-إيطاليا، منشورات المتوسط، ط١، ٢٠١٥.

*كتاب أمة تنسحب من التاريخ أنموذجاً، سلطان محمد رضوان عزيز، مجلة المنارة للبحوث والدراسات، جامعة آل البيت، م٣، ع٣، ٢٠٢٤.

*المصطلح السردي، جيرالد برنس، ترجمة، عابد خازندا، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، ٢٠٠٣.

* ديستوبيا: ملامح التنكيل وآليات السرد بين الدوس هكسلي وإبراهيم نصرالله (دراسة مقارنة)، د. غادة خوسون زكي، جامعة الأزهر، حولية اللغة العربية، ع٢٥، ج١٠.

الهوامش:

١- الديستوبيا الساخرة في الأدب الحديث ، كتاب أمة تنسحب من التاريخ ، أنموذجاً ، سلطان محمد رضوان عزيز, مجلة المنارة للبحوث و الدرسات ، جامعة ال البيت ,م٣ ,ع٣ ,٢٠٢٤ ، - ٣٤٨ .

٢- ديستوبيا الوباء الفكري في رواية اختلاط المواسم أو وليمة ، بشرى قصي ، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية ، ع٢ ، ٢٠٢٤ – ص ٤

٣- ديستوبيا الوباء الفكري في رواية اختلاط المواسم أو وليمة ، بشرى قصي ، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية ، ع٢ ، ٢٠٢٤ – ص ٤

٤- أدب الواقع المرير (الديستوبيا) في قصص (خلف الجدران المغلقة) مطالب عمران , مجلة الادب العلمي , جامعة دمشق , ع٧٢ , ٢٠١٩

٥- ما الأدب , جان بول سارتر ، ترجمة وتقديم وتعليق : محمد غنيمي هلال , مكتبة الاسرة , الهيئة المصرية العامة للكتاب . ٢٠٠٥ – ص٦٧.

٦- أدب الواقع المرير الديستوبيا ، في الروايتين الغربية والعربية ،د احمد علي محمد ، مجلة الآداب العالمية ١٩٨٤، ع ١٨٢ ، ص١٣)

٧- اليوتوبيا والديستوبيا في الخيال العلمي ، د. عائشة علي يوسف ،مجلة الأدب العلمي ،ع ١٣٠ ،حزيران ، ٢٠٢٤ ، ص ١٤ .

٨- ينظر: تقنيات الزمن الروائي في رواية (حارس التبغ) لعلي بدر ، مزار قاسم وياسمين هاشم ، ٢٠١٧ ، ص٢ .

٩- بطاقة دخول المشاهير ، فاطمه المحسن ، مجلة الرياض . ع ١٥١٨٦٠ ، ٢٠١٠ ، ص٢١ .

١٠- الوثيقة والتخيل التاريخي في روايات علي بدر ، رنا فرحان محمد الربيعي ، رسالة ماجستير ، ٢٠٠٤ ، ص ١٨٩ .

١١- الوثيقة والتخيل التاريخي في روايات علي بدر ، رنا فرحان محمد الربيعي ، ص٩ ، وينظر : آليات الكتابة السردية / إمبرتو إيكو ، ترجمة وتقديم : سعيد ينكراد ، دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع.

١٢- رواية الكافرة ، علي بدر ، ميلانو-إيطاليا ، منشورات المتوسط ، ط١ ، ٢٠١٥ ، ص٤٠

١٣- اليوستابيا والديسوبيا في رواية ما بعد الثورة ، دراسة في تشكلات المصطلح ، زينب محمد ، باحثة دكتوراه ، اشراف خيري عبدالحميد ، جامعة القاهرة ، مجلة مكية الآداب ، م ٨٣ ، ع٢ ، ٢٠٢٣ ، ص ٨٩

١٤- الكافرة ، ١٥٢ .

١٥- ينظر: الديستوبيا : ملامح التنكيل وآليات السرد بين الدوس هكسلي وإبراهيم نصرالله (دراسة مقارنة) ، د.غادة خوسون زكي ، جامعة الازهر ، حولية اللغة العربية ، ع٢٥ ، ج١٠ ، ٢٠٢١ ، ٩٦٠٢.

١٦- الحكم على أدبية الديستوبيا ، خالد قاسم ، ثقافية شهرية ، وزارة الثقافة والرياضة ، الدوحة ، ع ١٤٨ ، ٢٠٢٠ ، ص٢٥ .

١٧- الكافرة ، ٤٦

١٨- ديستوبيا الوباء الفكري في رواية (اختلاط المواسم أو وليمة القتل الكبرى) ، ص١٠ ، ليشير مغني ، راوية شاوي ، مجلة المحكمة للدراسات الفلسفية ، ٢٠٢٤

١٩- الكافرة ، ١٦٦

٢٠- الكافرة ، ١٦٩

٢١- الكافرة ، ١٧١

٢٢- الكافرة ، ١٧١

٢٣- الكافرة ، ١٧١
٢٤- الديسـتوبيا ملامـح التشـكيل وآليـات الـسرد ، ٩٦١
٢٥- يتوبيا ملامع التشكيل وآليات العدد ، ٩٦١٦
٢٦- الكافرة ، ٢٢٢
٢٧- الكافرة ،٢٢٢
٢٨- الكافرة ١٩٩
٢٩- تشـكل الشـخصية في الروايـة الديسـتوبية، خـيري عبـد السـتار، جامعـة عـين الشـمس ، . ٢٠٢٠ ، ص٤٤
٣٠- المصطلـح الـسردي ، جيرالـد برنـس ، ترجمـة : عابـد خازنـدا ، المجلـس الأعـلى للثقافـة ، ط١ ، ٢٠٠٣ ، ص٤٢.
٣١- لدليـل إلى تحليـل النـص الـسردي تقنيـات ومفاهيـم ، محمـد بـو عـزة ،دار العربيـة للعلـوم ناشرون،ربـاط،٢٠١٠،ط١ ص٣٩.